حِبر أبيَض
WHITE INK

أ.د. حياة الرشيدي

الانكشـــارية وألعـــوبة العـــزل والقتـــل

أصبحت الحكومة العثمانية ألعوبة في أيدي الانكشارية ينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم، فعزلوا داود باشـــا وهو الذي قام بقتل الســـلطان عثمان الثاني بعـــد بضعة أيام من تنفيذ ، وذلك إجراء طبيعي منهم لأنهم لا يأمنون على أنفســـهم من أياً من كان ، وصاروا يمنحون المناصب لمن يجزل إليهم العطايا، فكانت الوظائف تُبَاع جهارًا، وارتكبوا أنواع المظالم في القسطنطينية. ولما بلغ خبر قتل الســـلطان إلى الولاة وانتشـــرت بينهم أخبار الفوضى السائدة في الآستانة وَسْوَسَ لهم إبليس الطمع فأطاعوه، وســـرى في عروقهم شـــيطان الغواية فاتبعوه، فأشهر والي طرابلس الشام اســـتقلاله وطرد الانكشـــارية من ولايته، واقتفى أثره والي أرضروم المدعو أباظة باشـــا مدَّعيًا أنه يريد الانتقام للمرحوم الســـلطان عثمان شهيد الانكشارية، وســـار بمن تبعه إلى سيواس وأنقرة ففتحهما مصادرًا التزامات الانكشـــارية وإقطاعاتهم قاتلًا كل من وقع في مخالبه من هذه الفئة التي تلوَّثت بدم سلالة سلاطينهم، وتبعه والي سيواس وسنجق قره شهر. ثم سار إلى مدينة بورصة فحاصرها ودخلها بعد ثلاثة أشهر إلا قلعتها فلم تسلم.

ومن النماذج والأفعال التي بطش فيها الانكشـــارية واســـتباحوا كل ما يمكن استباحته هو التعدي الصارخ على سلطان الدولة العثمانية عثمان الثاني ، والمعروف بـ عثمان الشاب حكم من عام 1618 – 1622 م .

وكان ذنبـــه أنه أراد أن يجدد الجيـــش ويقتلع المرتزقة منه ، ولكنه لم يفلح لاستشـــرائهم وتغلغلهـــم في مفاصل الدولة . واعتبره المؤرخون أول ســـلطان عثماني يمـــوت مقتولاً نتيجة ثورة الانكشـــارية . واتفقوا على عزل السلطان ، وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الأوَّل بعدما قاموا بخلعه ثم اعادوه .

ولم يكتفوا بعزله ، بل هجموا عليه في ســـرايه وانتهكوا حرمتها، وقبضوا عليه بين جواريه وزوجاته وقادوه قهرًا إلى ثكناتهم موسعيه سبًّا وشتمًا وإهانة مما لم يسبق له مثيل في تاريخ دولتنا العلية. وزيادة على ذلك أنهم نقلوه من هناك إلى القلعة المعروفة بذات السبع قلل «يدي قله» حيث كان بانتظاره كل ممن يدعى داود باشـــا وعمر باشا الكيخيا وقلندر أوغلي وغيرهم؛ فأعدموا السلطان عثمان شنقاً .

وبعد تأكدهم من موته عثمان تم قطع أذنه وتقديمها لحليمة سلطان والسلطان مصطفى الأول لتأكيد وفاته ولم يعد مصطفى بحاجة للخوف من ابن اخوه.

هو الخليفةُ عثمان الثاني بن أحمد الأول بن محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني بن سليمان القانوني بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني بن محمد الأول جلبي بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغرل. وُلِد بإســـتانبول ســـنة 1013 ولَمَّا توفي والده أحمد الأول لم يتولى لصِغرِ سِـــنِّه ، وكان أخاه مصطفى الأول هو المرشح للسلطنة ، لكن الانكشـــارية بعد ثلاثة أشـــهر ، وجاء عزله لمصالح متعددة لقيادات في الدولـــة ، ومنهم المفتي وآغا السراي ، وكان الجهة المنفذة هي الانكشارية ، واذا ما عُرفت الأسباب يندى لها الجبين ومنها اختلافهم مع الســـلطان على توزيع الهبات ومقدارها ، وهذه عادة بعد أن يتولى الســـلطان يوزعها . وكان مكانه السلطان عثمان الثاني ، وفي بداية حكمه أمر بإطلاق سفير فرنسا وأرسل مندوبًا لملك فرنسا يعتذر عما حصل من الإهانة لممثله وأشـــهر الحرب ضد بولونيا ، وكان الانتصار له صدى للدولة وللسلطان الشـــاب ولم يكن حاسباً حساب للانكشارية وسطوتهم عندما قرر إصدار أمر بأن تحدد صلاحيات مفتي الدولة ، ومنها عدم اســـتطاعة تعيين وعزل موظفي الدولة ، وان يقعد للفتوى فقط . وكان من ضمن قراراته معاقبـــة من حاولوا انتصار الدولة في حربها من الانكشـــارية واعتبرهم فقرر أن يقطع عليهم ســـطوتهم الباغية في الدولة، وكان لقراره تكوين جيش جديد ، وأن يكون قوامه من شرق الدولة وبلاد العرب ، وبدء في تنفيذ ما أقدم عليه ، وعندما علمت الانكشارية بذلك ، اتفقوا على عزل السلطان ، وتم لهم ثم قتلوه .

وكانت مدة حكمه أربع سنوات وأربعة أشـــهر، وأعادوا مكانه عمه السلطان مصطفى الأول المخلوع سابقاً الى أن يتدبروا أمرهم بغيره ان لم يكن ألعوبة في أيديهم .